مار افرام السرياني ودوره في الحفاظ على اللغة السريانية ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܣܘܪܝܝܐ ܘܬܘܪܗ ܒܢܛܪܘܬ ܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ ܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ ܘܣܗܕܘܬܐ ܣܘܪܝܝܐ

يُعد **مار أفرام السرياني (306 – 373م)**، الملقب بـ "كنارة الروح القدس" و"ملفان (معلم) الكنيسة الجامعة"، الشخصية الأدبية واللاهوتية الأبرز في التراث السرياني، حيث زاوج بين العمق الفلسفي والجمال الشعري، مما جعل نتاجه مرجعاً عالمياً تُرجم إلى اليونانية والأرمنية واللاتينية في عصور مبكرة.

أولاً: النبذة التاريخية

ولد مار أفرام حوالي عام 306م في مدينة نصيبين (Nisibis) الواقعة على الحدود الرومانية الفارسية (نصيبين الحالية في تركيا). نشأ في كنف عائلة مسيحية، وتتلمذ على يد القديس يعقوب أسقف نصيبين الذي شارك في مجمع نيقية عام 325م.

عُين شماساً ومعلماً (Malpānâ) في "مدرسة نصيبين"، وهي من أوائل المؤسسات التعليمية العليا في المشرق. لم يُرسم كاهناً قط؛ إذ تشير المصادر التاريخية إلى أنه فضل البقاء في رتبة الشماسية تواضعاً.

بعد سقوط نصيبين في يد الفرس عام 363م، انتقل أفرام مع حشود اللاجئين المسيحيين إلى مدينة الرها (Edessa).هناك أسس "مدرسة الرها" الشهيرة، التي أصبحت مركزاً للإشعاع الفكري واللغوي السرياني. كرس معظم أشعاره لمحاربة التيارات الفكرية التي اعتبرها "هرطقات" في عصره، مثل الماركيونية والمانوية وتعاليم برديصان، مستخدماً الشعر وسيلة تعليمية شعبية لتثبيت العقيدة.

توفي في الرها في 9 حزيران 373م، بعد حياة حافلة بالنسك والكتابة، مخلفاً وراءه أكثر من 500 قصيدة ونشيد وميامر نثرية.

ثانياً: من أشعاره باللغتين السريانية والعربية

اعتمد مار أفرام نظامين شعريين رئيسيين :

المادراشي(Madrashe)

وهي الأناشيد الموزونة والمُلحنة، و

1.من أناشيد الإيمان (عن لؤلؤة الإيمان)

يستخدم أفرام "اللؤلؤة" كرمز للمسيح أو للإيمان، وفيها تظهر بلاغته العالية:

- **بالسريانية (الخط الإسطرنجيلي):**

"ܟܕ ܚܙܝܬ ܒܟ ܪܙܐ ..ܪܙܐ ܡܪܝ ܐܠܗܐ ܚܝ"

"حيثما رأيتُكِ، رأيتُ فيكِ سراً.. سرّ ابن الله الحي."

– من أناشيد الفردوس (عن الطبيعة الروحية)

يُعد مار أفرام هو من وضع "المعيار (Standard) "للغة السريانية الكلاسيكية التي تُعرف بـ **"لغة الرها " (Urhoyo).**

فيما يلي توضيح معمق مدعوم بنصوص ومصطلحات سريانية:

تطوير البنية اللغوية والأدبية:

1.ابتكار الأوزان الشعرية (قينوُثو – ܡܫܘܚܬܐ)

قبل مار أفرام، كان النثر هو السائد، لكنه أدخل نظام "الوزن والتدبير .(Mshuchotho) "أشهر أوزانه هو **الوزن السبيعي** (المؤلف من 7 مقاطع صوتية في كل شطر)، ويُعرف حتى يومنا هذا في الليتورجيا السريانية بـ **"وزن مار أفرام"**

– نموذج من كتاباته (بالسريانية والعربية)

من أشهر ما كتب مار أفرام في مدح اللغة والكلمة، نجد هذا البيت الذي يوضح سلاسة لغته (بالخط السرياني الإسطرنجيلي) وصف الجنة فائقة الجمال:

"ܒܪܝܟ ܗܘ ܕ ܐܫܩܝܐܢ ܡܢ ܡܒܘܥܗ.. ܫܪܒܘ ܕ–ܚܝܝ ܠܢܦܫܘܬܢ"

"بريك هو د أشقيان من مبوعه.. شربو د–حايي لنفشوثان"

- **الترجمة**" :مبارك هو الذي أسقانا من نبعه.. شربة الحياة لنفوسنا."

التحليل اللغوي :تظهر هنا قدرة أفرام على استخدام "الاستعارة المكنية" السريانية، حيث يربط بين المعرفة والماء (مبوعه/نبع)، وهو أسلوب لغوي جعل السريانية لغة صورية (Imagery) بامتياز.

4.صون اللغة عبر "المدراشي" (ܡܕܪܫܐ)

كان مار أفرام يكتب القصائد التعليمية لتردّدها الجوقات (الكورال)، وخاصة "جوقات العذارى."

- **الأثر اللغوي** :نقل اللغة من بطون الكتب إلى "اللغة المحكية المُهذبة". بفضل هذه الأناشيد، تعلمت العامة قواعد اللغة والنطق الصحيح من خلال الترديد اليومي، مما منع اندماج السريانية في اللغات المجاورة أو ذوبانها.

.5مواجهة الهرطقات كأداة لغوية

عندما ظهر "برديصان (Bardaisan) "وكان أديباً بليغاً استخدم الشعر لنشر أفكاره، أدرك أفرام أن الحفاظ على الإيمان يتطلب "تفوقاً لغوياً."

- يقول الباحثون إن أفرام "**هذّب** "المفردات السريانية من شوائب المصطلحات الغنوصية القديمة، وأعاد صياغة القاموس السرياني ليكون وعاءً للفكر المسيحي النقي، وهو ما يسمى في علم اللسانيات بـ "**التطهير اللغوي.(Linguistic Purification)** "

مار أفرام لم يكتب بالسريانية فحسب، بل "**صنع** "بلاغتها. إن نتاجه الذي وصل إلينا (رغم ضياع قسم منه) يمثل المرجعية الأولى للنحو والصرف السرياني. الباحثون في جامعة أكسفورد – مركز الدراسات السريانية والباحث الشهير سباستيان بروك (Sebastian Brock) يؤكدون أن السريانية تدين ببقائها كهوية لغوية مستقلة لعبقرية أفرام الأدبية.

للبحث عن نصوصه الأصلية وتحليلها، يمكنكم مراجعة:

- الأرشيف الرقمي للمخطوطات السريانية – (vHMML) للبحث في مخطوطات دير السريان وجبل سيناء التي تضم ميامر أفرام.
- موقع أدب (Adab.com) في قسم الأدب السرياني المترجم.